نماذج من عمارة المدارس في العالم الإسلامي
[دراسة أثرية مقارنة للجانب التخطيطي والوظيفي]

د. عادل المبروك المختار الفار
كلية الآداب والتربية – جامعة صبراتة

مقدمة:

تعتبر المدارس الدينية من أهم المنشآت المعمارية رغم دخولها المتأخر للنسيج العمراني في المدن الإسلامية، فقد لعبت أدواراً متعددة وحاسمة في كثير من الأحيان وذلك لتأثيرها الكبير على الدول في الجانبين الديني والسياسي تحديداً، ومعمارياً كان للمدارس شكل بنائي معين اختلف تخطيطياً باختلاف الفكر المعماري والانتماء المذهبي الى جانب اختلاف الخبرات البنائية في كل اقليم من العالم الإسلامي.

في هذا البحث سأحاول تسليط الضوء على الملامح التخطيطية والوظيفية للمدارس الإسلامية مع مقارنة نماذج مختارة بعضها ببعض في شرق العالم الإسلامي وغربه في مختلف العصور الإسلامية.

أهمية الموضوع:

تأتي أهمية الموضوع انطلاقًا مما سبق ذكره عن أهمية هذا النوع من المباني في نسيج عمارة المدن الإسلامية، وأدواره المهمة التي تتنوع لتشمل جُل مناحي الحياة، سواء كانت الثقافية أو الدينية أو الاجتماعية وحتى السياسية في كثير من الأحيان، وأيضاً من كون عمارة المدرسة ينطلق من وجود فكر معماري اختزل كثير من الأفكار البنائية التي وإن كانت ذات مصدر واحد إلا أنها تميزت بالتنوع والاختلاف في أقاليم العالم الإسلامي نتيجةً للعديد من الظروف والتي منها العقائدية والجغرافية والسياسية أيضاً.

أهداف البحث:

يمكن تحديد أهداف هذا البحث في مجموعة من التساؤلات التي يحاول الباحث الإجابة عليها من خلال خطوات الدراسة، من أهم تلك التساؤلات ما يلي:

1- ما أهمية وجود هذا النوع من المنشآت المعمارية في نسيج المدينة الإسلامية المعماري؟

2- ما هي أهم الخطوات التي مهدت لظهور هذا النوع من العمائر خصوصا وأن ظهورها في العمارة الإسلامية تأخر نحو خمس قرون ما بعد الهجرة النبوية وبناء المسجد النبوي بالمدينة المنورة والذي يُعتبر البداية الحقيقية للعمارة الإسلامية في العموم؟

3- لماذا كانت الصفة الدينية هي الملاصقة لنماذج المدارس الإسلامية الأولى؟ وكيف بدأت تتحول تدريجياً الى منارات علمية متكاملة؟

4- ما دور التعددية الطائفية في التكوين المعماري للمدارس في كل العصور والأقاليم الإسلامية ؟

5- ما هي أهم الفروقات المعمارية بين مدارس الشرق الإسلامي وغربه طيلة العصور الإسلامية؟ وما هي أهم أوجه التأثير والتأثر المعماري بينهما؟

6- ما هي أهم الأدوار الوظيفية التي لعبتها المدرسة في المجتمع الإسلامي عموماً؟

منهجية البحث:

اعتمد الباحث في دراسته على المنهج الوصفي والتحليلي الذي استلزم التطرق الى العديد من المخططات الخاصة بالمدارس الإسلامية وذلك بالوصف والتحليل والمقارنة بين نماذجها المختلفة لمحاولة تتبع وابراز شكل الفكر المعماري الذي بُنيت على أساسه هذه المنشأة المهمة، وكذلك تجميع المعلومات والدراسات والمراجع المتعلقة بموضوع البحث والقيام بتحليلها ومناقشتها للوصول الى رؤية واضحة لموضوع الدراسة.

ظهور المدارس في العمارة الإسلامية:

المدرسة لغةً موضع الدرس، وجماعة من الفلاسفة أو الباحثين الذين يعتنقون فكراً معيناً أو مذهباً واحداً[1]، أما التعريف المعماري للمدرسة فهو البناء الذي يحوي إيواناً أو أكثر، مخصصه لتدارس علوم الدين وفقه المذاهب، وفي اصطلاح آخر تعارف عليه

المهتمون فالمدرسة هي بناء يُفترض ألا يكون له مئذنة ولا منبر ولا تُقام فيه صلاة جامعة، مخصصه لتدريس علوم الدين وفق مذهب واحد أو أكثر [2].

والمدرسة كمنشأة خدمية ظهرت في عمارة المدينة الإسلامية في وقت متأخر قليلاً، فالمعروف أن المباني بشكل عام والعمائر الإسلامية بشكل خاص لا تُقام إلا لوجود غرض عملي تقوم بخدمته وفائدة انتفاعية تؤخذ منها، فقد أخذ الصحابة في بدايات الدعوة الإسلامية على عاتقهم نشر تعاليم الدين أينما حلّوا وذلك بتوجيه مباشر من الرسول (ص) وخلفاءه الراشدين، وكان هؤلاء هم من يسعى إلى الناس أينما كانوا من أجل نشر الدين الإسلامي، وكانت هذه العملية تتم من دون وجود إطار معماري، حيث كانت تتم في ساحات المدن وفي البيوت والأسواق والمساجد وغيرها، وكان لهذه الأخيرة بالذات دوراً بارزاً في هذا المجال منذ قيام الدعوة، فكما كانت بيتاً للعبادة وداراً للقضاء وبيتاً لمال المسلمين وغرفةً عسكرية تنطلق منها أفواج الفاتحين، كانت كذلك منبراً للعلم يلتقي فيه المعلمون والمتعلمين وتُعقد فيه حلقات الدرس، وقد أستمر ذلك لفترة غير قصيرة تحققت فيها بشكل أو بآخر الفائدة العلمية من وجود المدارس قبل ظهورها أصلاً الى حيز الوجود، وربما كان ذلك أحد الأسباب الي فرضت على ولاة الأمر إيجاد حيز مكاني تتم فيه العملية التعليمية [3].

ويبدو أن المدرسة كانت المرحلة الأخيرة من مراحل السعي لإيجاد الحيز المكاني الأنسب لتدريس علوم الدين، فهي لم تُعرف كإحدى منشآت المدينة الإسلامية الخدمية قبل القرن 5هـ/11م، ويبدو أن وجود مكان فعلي للدراسة مرّ بعدة مراحل وُجدت خلالها العديد من المنشآت التي قامت بهذا الدور المهم تحت عدة تسميات، فقد عُرفت عند المسلمين قبل هذه الفترة بدار الحكمة أو بيت الحكمة، وأيضاً دار العلم والمكتبات، وكانت اغلبها ملحقة بالمساجد، وقد ظهرت تلك المنشآت من أجل تخفيف العبء الذي يُثقل المساجد في القيام بوظائفها الدينية والمتمثلة في إقامة الصلاة والوعظ و كذلك عملية تدارس العبادات والعقائد والفقه، فكانت المدارس حلاً جزئياً أزاح عن المسجد حِملاً ربما يكون في أحيان كثيرة مزعجاً يتمثل في التعارض الذي يحدث عندما يؤدي كل تلك الوظائف مجتمعة .

وفي الوقت الذي كانت فيه تلك المنشآت الملحقة بالمساجد كدار الحكمة وغيرها تؤدي دورها كمراكز علمية يقصدها طلاب العلم من كل مكان، بدأت تظهر الى الوجود في شرق

العالم الإسلامي منشأةً جديدة ذات خصوصية هندسية تختلف عن سابقاتها وتؤدي نفس الأغراض العلمية عُرفت آنذاك باسم (المدرسة)، ففي نيسابور بإيران أدخل السلاجقة[4] الى الهندسة المعمارية الإسلامية نوعاً جديداً من الأبنية كانت مهمتها الوحيدة في بدايتها نشر تعاليم الدين الإسلامي حسب المذهب الشافعي وهو المذهب الشائع هناك[5]، وكان اختيار اسم مدرسة لها للدلالة ذو صلة وثيقة بالوظيفة التي أُنشأت من اجلها وهي تدريس الفقه السني[6]، وفي هذا السياق يقول المقريزي:-" **حدث علمها بعد الأربعمائة من سني الهجرة، وأول من حُفظ عنه أنه بنى مدرسة في الإسلام هم أهل نيسابور التي بُنيت بها المدرسة البيهقية** " [7].

والواضح أن هناك شبه إجماع من قِبل الباحثين على أن المدرسة كمصطلح معماري كان قد نشأ في البداية لتحقيق ثلاثة أهداف رئيسية هي:

1- تدريس الفقه الإسلامي على المذهب السني وذلك لمواجهة المد الشيعي الذي بلغت سيطرته على الدولة الإسلامية حدّاً بعيداً خصوصاً في القرن الرابع هـ/العاشر م، فاستيلاء الفواطم الشيعة على مقاليد الحكم في مصر والشام وكذلك نفوذهم الجزئي على بعض مناطق المغرب الإسلامي الى جانب تحكّم البويهيون الشيعة في الخلافة العباسية الآيلة للسقوط آنذاك وامتلاكهم لزمام الأمور فيها، كل تلك الأسباب دفعت السلاجقة الى محاولة إيجاد طريقة مثلى لمكافحة هذا التحدي الشيعي وإعادة سيطرة المذهب السني على الدولة الإسلامية.

2- إعداد الكوادر المدربة من أجل تغذية الجهاز الإداري للدولة بالموظفين الأكفاء ونشرهم في الدواوين المختلفة من أجل سد الطريق أمام التسرب الشيعي في مفاصل الدولة المهمة[8].

3- تلبية رغبة السلاطين والحكّام آنذاك في إحكام سيطرتهم على الجانب الديني في الدولة والذي رأوا انه السبيل الذي تدخل منه الانشقاقات والضعف إلى مفاصل الدولة الإسلامية.

من خلال هذه الأسباب الثلاثة التي كانت دافعاً مهماً لظهور المدارس كمنشأة معماريه داخل النسيج العمراني للمدينة الإسلامية نخلص الى نتيجة مهمة جداً وهي أن نشأة المدارس وازدهار الحركة العلمية بشكل عام كان مرتبطاً بشكل مباشر بالصراع المذهبي الدائر في

العالم الإسلامي، ومحاولة كل طرف من أطراف ذلك الصراع الدعوة لمذهبه الخاص وإقناع الآخرين به، وإن كان ذلك قد أُتخذ من قِبل الدويلات الإسلامية كسبب ظاهر في محاولة لإخفاء السبب الحقيقي وراء ذلك الصراع والمتمثل في السباق نحو الوصول الى السلطة، فلم يكن النزاع المذهبي إلّا واجهة اختفت وراءها الكثير من الأهداف المشكوك أصلاً في نزاهتها.

وفي المغرب الإسلامي هناك شبه إجماع من قِبل الباحثين على أن المدارس لم تُعرف بشكلها المعماري المستقل إلا اعتباراً من القرن 7هـ/13 م، وأقول هنا بشكل معماري مستقل لأن نظام المدارس كان قد عُرف هناك قبل هذه الفترة بوقت قصير أي في نهاية القرن 6هـ/12م، عندما أدخله يعقوب المنصور أحد أمراء دولة الموحدين (580-595هـ/1161-1184م) ولكن دون تحديد أفكار أو أشكال معمارية لها[9]، بيد أنها ظهرت منذ القرن7 الهجري كمنشآت معمارية مستقلة وكان ذلك في ليبيا وتونس أولاً عندما شيد أبو زكريا الحفصي المدرسة الشافعية في تونس عام 647هـ/1249م[10]، وبعد ذلك شيد الفقيه (محمد أبي محمد عبد الحميد بن أبي البركات بن أبي الدنيا) المدرسة المستنصرية في مدينة طرابلس القديمة فيما بين عامي 655-658هـ/1257-1259م[11]، أما في المغرب الأقصى فلم تظهر المدارس إلا بعد ذلك بنحو ثلاثة عقود، وتُعد مدرسة الصفّارين التي شيدها الأمير أبو يوسف يعقوب المريني عام 675هـ/1276م رائدة المدارس هناك ، حيث كان للمرينيين الفضل في بناء العديد من المدارس وتحويلها الى مؤسسات حكومية لها أغراض سياسية الى جانب دورها الديني والعلمي، فقد كان للفقهاء دورهم الكبير في الحكم و الإدارة، وربما كان هذا الدور من منطلق رغبتهم في إعادة الهيبة للمذهب المالكي بعد ما سادت حركة التوحيد هناك فترة من الزمن في عهد الدولة الموحدية، وعموماً فإن عدد المدارس التي أُنشأت إبان العصر المريني في المغرب الأقصى (632-796هـ/1235-1393م) بلغ نحو 8 مدارس كان أشهرها مدرسة الصفّارين بمدينة فاس، والمدرسة البوعنانية التي أسسها أبو عنان المريني في مدينة فاس أيضاً [12].

تخطيط المدارس:

لقد خضع تخطيط المدرسة منذ ظهورها في الشرق الإسلامي وكذلك في كثير من مراحل انتشارها في باقي أقاليم الدولة الإسلامية لعدة عوامل ساهمت في صقل الشخصية

المعمارية لهذه المنشأة، فمنذ بداياتها الأولى ارتبطت المدرسة بالمسجد في كثير من التفاصيل المهمة التي كان من بينها الجانب الوظيفي الذي يؤديه كلٍ منهما، فإن كانت الصلاة هي الغرض الأساسي من إقامة المساجد، فإن المدارس احتوت على مكان خاص بالصلاة، وإن كان الغرض الأساسي من بناء المدارس هو التدريس فإن المسجد قد أحتوى دائماً على قاعات مخصصة للدرس، وانطلاقا من هذه العلاقة الوثيقة فإن المدرسة وبعد استقلالها وظيفياً ومكانياً عن المسجد حملت معها كثير من التفاصيل التي كانت تُعرف في المسجد فقط، فالصحن المكشوف في المساجد انتقل الى عمارة المدرسة وإن كان بحجم أقل، وأُستبدلت البوائك المحيطة بالعقود المطلة على الصحن بالإيوانات المعقودة[13]، هذا بالإضافة الى انتقال بعض الوحدات والعناصر الأخرى من المسجد الى المدرسة في مراحل متعددة كان من أبرزها المنبر ودكة المبلّغ وخُلوة الخطيب وكرسي المصحف وغيرها، هذا الى جانب انتقال عنصر المئذنة الى المدرسة في وقت متأخر قليلاً، فبعد أن كانت المدرسة تُعرف في البداية بأنها البناء الذي لا يُفترض وجود مئذنة فيه أدخل المماليك في مصر عنصر المئذنة التي تعلو المدخل الى عمارة المدرسة ، كما أن هناك عناصر أخرى انتقلت عكسياً أي من المدرسة الى المسجد، نذكر من أبرزها القباب والمدافن والأسبلة وخِزانات الكتب وكذلك الخلاوي والأروقة[14]، ولابد أن ما حدث من خلط لدى المهتمين في تسمية بعض المنشآت بين المدرسة والجامع كان مردّه بالدرجة الأولى الى الازدواجية بين هاتين المنشأتين في تأدية الوظائف المنوطة بها، فاستعمال المسجد لعقد حلقات الدرس، واستعمال المدرسة للصلاة أدى الى تعدد الوظائف في المنشأة الواحدة وبالتالي حدث ذلك الخلط، ومن هنا نجد أن بعض العمائر في مدينة القاهرة مثلاً حملت أسم مدرسة وجامع في آنٍ واحد، كما هو الحال في مدرسة وجامع السلطان حسن، ففي هذه الفترة تشابهت المنشئتان وظيفياً في جل التفاصيل، وحتى الصلاة الجامعة كالجُمع والأعياد التي كانت لا تُقام إلا في المساجد الجامعة أصبحت تُقام في المدارس أيضاً ابتداءً من العصر المملوكي، حيث صدرت فتوى بذلك عام 730هـ/1329م، وكانت أول مدرسة تُقام فيها صلاة جامعة في العصر المملوكي هي المدرسة الصالحية النجمية التي أسسها الصالح نجم الدين[15]، تبعتها في ذلك كثير من المدارس المملوكية في القاهرة مثل مدرسة السلطان حسن ومدرسة

السلطان برقوق و مدرسة السلطان برسباي ومدرسة السلطان إينال ومدارس قايتباي المتعددة[16].

ومن العوامل الأخرى التي ساهمت في تشكيل المدارس معمارياً يبرز العامل المذهبي، فقد قامت المدارس أساساً من أجل إحياء الفقه السني الذي فقد مكانته في الدولة الإسلامية بعد سيطرة الشيعة لفترات طويلة على مقاليد الحكم، وكما هو معروف فقد انقسم أنصار الشريعة في العالم الإسلامي الى أربعة مذاهب سنية كان لكل منها أتباع ومريدين ومساحة جغرافية في الغالب انتشر فيها، وهذه المذاهب هي المالكي والحنبلي والحنفي والشافعي، وقد كان لهذا الأخير الريادة في قيادة التحدي السني للإطاحة بالسيطرة الشيعية على العالم الإسلامي، وذلك عندما أقام السلاجقة –وهم من أتباع الإمام الشافعي– أول مدرسة بمدينة نيسابور لتدريس الفقه السني على طريقة الإمام الشافعي، وقد اتحدت المذاهب الأربعة لمواجهة المدّ الشيعي، فكان هدفها واحد رغم اختلاف الأقاليم الجغرافية الذي شكّل فيها هذا المذهب أو ذاك الأغلبية من حيث عدد المريدين، فالمذهب الشافعي كان الغالب عند أهل نيسابور وآسيا الصغرى بشكل عام، بينما غلب المذهب الحنبلي على اعتقاد أهل بغداد وما جاورها، في حين أن جُل أهل سوريا والجزيرة العربية هم من أتباع المذهب الحنفي، وكان المذهب المالكي هو الطاغي على سكان بلاد المغرب الإسلامي[17]، مع أن انتشار أكثر من مذهب في أحد تلك الأقاليم لم يكن بالشيء الخارج عن المألوف، أما عن كيفية تأثير هذا العامل على مخطط المدرسة منذ نشأتها فيكمن في أن هذه المنشأة وِجدت أصلاً لتدريس المذاهب السنية بمختلف انتماءاتها، ففي البداية كانت المدارس الأولى التي نشأت في نيسابور خاصة بتدريس الفقه السني على طريقة الأمام الشافعي، لذا كانت تلك المنشآت مكونة من الصحن الوسطي المكشوف– وهو العامل المشترك في جل المدارس الإسلامية – الى جانب إيوان واحد يستخدم لعقد حلقات الدرس ويستعمل كمصلّى في أوقات الصلاة[18]، وعند انتقال المدارس الى بلاد الشام ضمَّ بعضها هناك طلاب يتدارسون الفقه السني وفق أكثر من مذهب، فقد انتشر هناك المذهب المالكي الذي كان الغالب على الانتماءات المذهبية للسكان الى جانب المذهب الشافعي الذي لاقى بعض القبول بينهم[19]، وكان ذلك مدعاة لإحداث تغيير جديد في معمار المدرسة ليساير الوضع الجديد، حيث تكونت المدرسة

في مثل تلك الحالات من صحن وسطي مكشوف يحيط به إيوانين متتاليين خُصّص كل واحد منهما لمذهب، على أن يكون الإيوان الذي يقع في جهة القبلة مصلّى في أوقات الصلاة فقط ويُستعمل للدرس في باقي الأوقات، وكان هذا الإيوان أكبر الأواوين لكي يسع الجميع في أوقات الصلاة، الى جانب ذلك ظهرت مدارس أخرى جمعت أماكن لتدريس المذاهب الأربعة تحت سقفها[20]، وكان هذا أيضا سبباً لإحداث تطور جديد على عمارتها بحيث ضمت على الجوانب الأربعة للصحن الوسطي أربعة أواوين خُصص كل واحد منها لمذهب معين، أكبر تلك الأواوين إيوان القبلة لنفس السبب سابق الذكر، وظهر هذا النوع بالذات في النصف الأول من 7هـ/13م حيث كانت المدرسة المستنصرية ببغداد أول نموذج له(**شكل رقم 1،2**)، بينما كان أول نموذج لها بالقاهرة المدرسة الصالحية التي أنشأها الصالح نجم الدين أيوب بعد بناء المدرسة المستنصرية بوقت قصير(**شكل رقم 3**)، بيد أن هذا النوع من المدارس عرف انتشاراً واسعاً في العصر المملوكي، حيث جاءت أغلب نماذجه وِفق هذا الطراز [21] .

لقد أنتقل مخطط المدرسة ذات الأواوين من بغداد الى أقاليم أخرى من العالم الإسلامي في وقت متأخر من العصر السلجوقي أي في حدود القرنين 7-8هـ/13-14م، فقد عرفت آسيا الصغرى نماذج لهذا المخطط كما هو الحال في عدد من المدارس التي أُنشأت بمدينة قونية، وبعد انتقالها الى الشام في عهد الأتابكة قام صلاح الدين الأيوبي بنقل المخطط الى عمارة المدارس في القاهرة، وخلال هذه الفترة حدثت إضافات كثيرة على معمار المدرسة، إذ أُضيفت لها بعض الملاحق التي أملتها ضرورات ملحّه للوظائف التي أصبحت تقوم بها، فكان إلحاق غرف مخصصه لسكن الطلبة أمراً مهماً وذلك لأن المدارس أصبحت قبلةً لطلّاب العلم من شتّى الأصقاع وكان من الضروري تجهيز مكان لإقامتهم مع ما رافق ذلك من ظهور لملحقات خدمية أخرى مثل المطبخ ودورات المياه، كما أن استخدام المدرسة للصلاة فرض على المخططين إيجاد عناصر إضافية كالميضأة، هذا الى جانب المكتبة وأحياناً المارستان الذي يتم فيه علاج الطلبة على نفقة المدرسة[22]، بالإضافة الى إلحاق ضريح مؤسس المدرسة ببنائها [23].

واعتباراً من بداية العصر المملوكي بدأت تظهر في مصر مدارس غاية في الروعة والإتقان من الناحيتين المعمارية والفنية، فقد تنافس سلاطين المماليك على تشييدها واقتدى بهم الأثرياء ورجال الدولة[24]، ساعدهم في ذلك نظام الوقف الذي أدى الى انتشار المدارس واستمرارها في تأدية مهامها على أكمل وجه[25] ، والمدارس المملوكية بشكل عام تقوم على أساس التخطيط المتعامد المتقاطع، حيث أنه منتظم في شكل صليب مركزه الصحن الأوسط وأجنحته الأواوين الأربعة[26]، وقد مثّل هذا المخطط النسبة الأكبر من المدارس المملوكية الباقية في القاهرة، حيث بقى منها هناك حالياً 52 مدرسة كانت 44 منها ذات مخطط متعامد، بينما انحصر تخطيط باقي المدارس في نموذجين آخرين، أولهما المدرسة ذات الأروقة حول الصحن، ومن أمثلتها المدرسة الأقبغاوية 740هـ/1339م، ومدرسة قايتباي 845هـ/1441م، أما النموذج الثاني فهو التخطيط ذو الأروقة دون وجود للصحن المركزي، ومن الأمثلة الباقية لهذا المخطط المدرسة البندقدارية682هـ/1284م، والمدرسة الطيبرسية 709هـ/1309م [27].

وكما هو الحال في المدارس الأيوبية فقد أُلحق بنظيراتها المملوكية العديد من الملحقات أبرزها مدفن المؤسس وكذلك سبيل يعلوه كُتّاب في أحيان كثيرة، علاوةً على مساكن الطلبة وما يتبعها من مرافق خدمية، وقد يُلحق بها أحياناً مارستان كما هو الحال في مدرسة السلطان قلاوون، هذا بالإضافة الى عناصر أخرى ميزت هذه المدارس عن غيرها من مدارس العصور السابقة والمتمثلة خصوصاً في وجود مئذنة تعلو مدخلها[28]، وكذلك الغنى الزخرفي لعمارتها وهو الشيء الذي عُرف عن جل العمائر المملوكية ولم يكن حكراً على المدارس فقط، هذا الى جانب ظهور المدارس ذات الصحن المركزي المغطى بسقف خشبي الأمر الذي عُدّ تطوراً ظهر على عمارة المدارس إبتداءاً من العصر المملوكي الثاني، ومن الأمثلة القائمة على هذا النموذج صحني مدرستي الظاهر برقوق وقايتباي [29] .

أما في بلاد المغرب الإسلامي التي دخلها نظام المدارس في وقت متأخر بالمقارنة مع نشأتها في المشرق، وكان ذلك في حدود القرن7هـ/13م، فقد اتخذت هذه المنشأة هناك نظام تخطيطي آخر بعيد كل البعد عن الشكل المعماري الذي عُرفت به في مصر وبلاد الشام وغيرها من الأقاليم، فمنذ أن ادخل يعقوب المنصور الموحدي المدارس الى بلاد المغرب لم

يتم تحديد أفكار أو أشكال معمارية لها، كما أنها لم تتطور من الناحية الهندسية طوال فترة من الزمن، فالملاحظ عند تتبع جل نماذجها هنا أنها لم تتأثر كثيرا بالمساجد، فباستثناء الصحن الوسطي الذي يعد العامل المشترك الوحيد بين المنشأتين لا يمكننا ملاحظة تأثيرات أخرى مستوحاة من عمارة المساجد في معمار المدارس، ويبدو أن المعيار الوحيد الذي تمت مراعاته عند تشييد المدرسة كان مدى الحاجة العملية لكل جزء من مكوناتها، حيث ضمت فقط في الغالب حجرات الدرس المنتشرة حول الصحن، الغرف المخصصة لسكن الطلبة وبعض الملحقات الضرورية كالميضأة والمطبخ ودورات المياه والمكتبة، ويبدو أن عمارة المدارس في المغرب قد تأثرت الى حد كبير من الناحية التصميمية بعمارة الأربطة، فأخذت منها الشكل المعتاد للمدارس هناك، والذي يتكون من الصحن الوسطي الذي يتوسطه في العادة حوض، وتنتشر حوله الغرف الصغيرة[30]، غير أن بعض التفاصيل هو ما أختلف بين عمارة المنشأتين، فالعامل الوظيفي كان من الأشياء التي اختلفت بينهما، ففي الرباط كانت الغرف التي تحف الصحن تُستخدم لإقامة الجند المرابطين على الثغور لحماية الحدود من الأعداء، ولما زالت صفة العسكرية فيما بعد عن الأربطة استخدمت من قِبل الزُهّاد وأهل الصوفية كمكان لمجاهدة النفس ونيل المقامات[31]، أما في المدرسة فقد استخدمت تلك الغرف لعقد حلقات الدرس ومنها ما أُستعمل لأغراض ملازمه للعملية التعليمية كأن تكون إحداها مكتبة أو مُصلّى، هذا بالإضافة الى أن كثير من المدارس هناك عرفت اهتماماً ملحوظاً بالجانب الجمالي فيها، فحملت بعض جنباتها زخارف متنوعة وعناصر معمارية كان لها دور كبير في إثراء الجانب الفني، الشيء الذي لم يكن معروفاً عن عمارة الأربطة المنتشرة في كل بلدان المغرب [32].وعلى العموم فإن عمارة المدارس في المغرب بشكل عام لم تعرف نظام الأواوين المتعامدة والذي كان منتشراً في مصر وبلاد المشرق الإسلامي، ويُرجع المهتمون ذلك الى أن انتصار المذهب المالكي وسيادته بشكل كبير هناك ربما هو ما أدى الى عدم الارتباك في تحديد ملامح عمارة المدرسة وهو ما حدث في مناطق إسلامية أخرى، ومن هنا لم يكن هناك حاجة لنظام الأواوين المخصصة لدراسة المذاهب السنية المتعددة[33]، لذا جاءت جل المدارس المغاربية – كما أوردت سابقاً– على شكل بناء يتكون من طبقة واحدة في الغالب، يتوسطه صحن به حوض ماء أو نافورة أو ربما حديقة

صغيرة[34] وتتوزع غرف الدرس عادةً حول أضلاع الصحن فيما عدا جهة القبلة والتي كانت تشتمل على مُصلّى، وكانت تُلحق بالبناء الميضأة ومن حولها المراحيض، وفي أحيان قليلة احتوت مئذنة على غرار المدارس المصرية وإن اختلفت عنها بدايةً في عدم احتواءها على ضريح المؤسس.

ولم تخرج الأنظمة التخطيطية لجل مدارس المغرب عن هذا الشكل طيلة القرن 7هـ/13م وكذلك في بدايات القرن 8هـ/14م، وكانت مدرسة الصفّارين بمدينة فاس في المغرب الأقصى من أهم نماذج هذا المخطط، ولكن مع حلول منتصف القرن الثامن الهجري بدأت بالظهور أنواع أخرى من المدارس حملت معها بعض التعديلات التخطيطية التي عُدّت تطوراً مهماً في معمار المدرسة وإن لم تبتعد كثيراً عن المخطط الأول من حيث الشكل العام، فالمدارس الجديدة اختلفت عن سابقاتها باستحداث طبقات عليا للبناء يؤدي إليها سلم يصعد الى تلك الأدوار من بعض الممرات، بالإضافة الى ظهور نوع آخر من المدارس تميز بوجود الميضأة في الصحن الوسطي وكذلك وجود قاعتين مربعتين على جانبي الصحن تذكرنا بالأواوين الجانبية في بعض المدارس المملوكية بالقاهرة، هذا الى جانب قلة الزخرفة بالمقارنة بسابقاتها مع فخامة واضحة في البناء، ومن أمثلة هذا النوع من المدارس المدرسة البوعنانية التي يشكل مبناها مدرسة ومسجدًا جامعًا في نفس الوقت، حيث أُسست بأمر السلطان "أبو عنان فارس المريني"، على يد الناظر "أبي الحسن بن أحمد بن الحسين بن أحمد بن عسكر لتعليم العلم، وأداء صلاة الجمعة." [35].

تجدر الإشارة الى أنه ومنذ القرن 9هـ/15م وما تلاه ساهمت جامعة القرويين في انتشار واسع للمدارس بالمغرب الأقصى على وجه الخصوص، فقد رأى القائمون على تلك الجامعة أنه لابد من وجود مدارس فرعية مهمتها تعزيز الدور العلمي لهذا الصرح العريق[36]، وكانت مهمة المدارس آنذاك تدريس التخصصات التي لا تدرسها جامعة القرويين، والتي اقتصرت الدراسة فيها على العلوم الشرعية في الغالب، الى جانب اقتصارها على المستويات العليا لبعض العلوم كالفلسفة والطب والهندسة، وقد بلغ عدد المدارس التي أُنشأت لهذا الغرض نحو 10 مدارس كان بعضها قد شُيد أصلا لهذا الغرض، الى جانب استغلال القائمين على الجامعة لمدارس كانت قائمة أصلاً، ثمانية من أصل المدارس العشرة

يعود إنشاءها الى العصر المريني، واثنان الى العصر العلوي، ونذكر من أهم نماذجها المدرسة البوعنانية بفاس والتي كانت قائمة قبل استعمالها كفرع للجامعة، وكذلك مدرسة الشرّاطين التي أسسها المولى رشيد عام 1075هـ/1664م، وكان بكلٍ منهما مكتبة علمية كبيرة كانت تُعرف بخزنة الكتب[37].

وفي سياقٍ متصل كانت مدينة طرابلس الغرب من أوائل مدن المغرب الإسلامي التي عرفت مثل هذه المنشآت في عمارتها منذ القرن 7هـ / 13م ، فبعد المدرستين اللتين بنيتا في تونس عامي 636هـ/1238م و 649هـ/1239م[38]، جاء الدور على طرابلس لتعرف مثل هذا النوع من العمائر عندما بُنيت بها مدرسة بين عامي 655-658هـ/1257-1259م، وذلك في عهد الخليفة الحفصي المستنصر بالله (647-675هـ/1257-1276م)، والذي كلّف أحد أعيان المدينة ويُدعى أبو محمد عبدالحميد بن أبي البركات بن أبي الدنيا بإنشائها، وعندما فرغ هذا الأخير من البناء أعطاها أسم المدرسة المستنصرية أو المنتصرية نسبةً الى الخليفة الحفصي، وكانت طرابلس آنذاك تحت حكم بني مطروح الذين كانوا يدينون بالولاء للخلافة الحفصية[39]، وقد ورد اسم هذه المدرسة كثيراً في كتب المؤرخين والرحالة الذين مرّوا بالمدينة خلال القرن السابع الهجري وما تلاه، فقد أشاد كل أولئك بهذه المدرسة ودورها في إنعاش الحركة العلمية بالمدينة، وكذلك بروعة بناءها بالرغم من عدم اهتمام كل الرحالة بوصف المدرسة وصفاً معمارياً دقيقاً، فالرحالة ابن رشيد السبتي الذي زار المدينة عام 685هـ/1286م أُعجب بالمدرسة ووصفها بأنها حسنة البناء تقع على شارع المدينة الأكبر، وأنها تتمتع بقدر كبير من اهتمام ساسة المدينة من خلال اعتنائهم بالحديقة التي تتوسطها[40]، وهذه إشارة الى ان المدرسة تشبه في تخطيطها المدارس المغربية آنذاك والتي يتوسطها فناء تتوسطه حديقة، وتحيط به وحدات المدرسة الأخرى، أما الرحالة العبدري الذي وإن تحامل بشدة على المدينة وأهلها في كتابه، فإنه أبدي إعجاباً شديدا بهذه المدرسة عندما زار المدينة، عندما قال :- "ولم أرَ بها ما يروق العيون، وسما أن يقوم بالدون سوى جامعها ومدرستها، فإن لهما من حسن الصورة نصيباً، ومن إتقان الصنعة سهماً مصيباً، وما رأيت في الغرب مثل مدرستها الذكورة"[41]، في حين تحدّث التيجاني الذي زار المدينة وأقام بها ثلاث سنوات عن المدرسة فقال: "وهذه المدرسة من أحسن المدارس وضعاً وأظرفها

صُنعاً"[42]، ويبدو أن هذه المدرسة تعرضت للإندثار جراء القصف الإسباني للمدينة عام 1510م، فقد كانت هذه المدرسة كما اتفق الباحثون تقع في منطقة باب البحر غير بعيدة عن القوس الروماني، والقريب جداً من جامع قورجي الموجود حاليا[43]، ومن هنا كانت المنطقة بأسرها مواجهة للبحر ومعرضة أكثر من غيرها لمدفعية الأسطول الإسباني الذي دكَّ المنطقة بأسرها ودمّر كثير من معالمها والتي كانت المدرسة المستنصرية من أهمها، وبالتالي فأن مدينة طرابلس فقدت بفقدان هذه المنشأة أثراً هاماً ومركزاً تعليمياً أدى دوراً كبيراً في ازدهار الحياة الفكرية فيها لفترة زمنية ناهزت الثلاث قرون [44].

ومع دخول طرابلس الى حظيرة الدولة العثمانية عام 959هـ/1551م شهدت المدينة ركوداً ملحوظاً للأنشطة الثقافية والعلمية لفترة طويلة من الزمن، فالولاة الأوائل كان همهم الأول هو توطيد أركان الحكم العثماني في الولاية ككل، هذا بالإضافة الى عدم اهتمام الأتراك بشكل عام بتنمية الجانب الثقافي للولايات التي وقعت تحت سيطرتهم، وحتى عندما ظهر بعض الولاة الذين كان لديهم نشاطاً ملحوظاً في الناحية المعمارية كانت كل إنجازاتهم بعيدة تماماً عن الجانب العلمي، فكانت محصورةً إما في مجال الإنشاءات العسكرية، وذلك لتأمين المدينة ضد الأعداء وثورات الأهالي، أو العمائر الدينية لترسيخ مفهوم الأحقية الدينية للخلافة العثمانية في حكم كل الأقاليم الإسلامية في أذهان المواطنين، بيد أن هذه الفكرة وإن استمرت لفترة طويلة امتدت لأكثر من مائة سنة، فإنها بدأت تُثبت خطأها عندما شعر العثمانيون بفداحة ما ارتكبوه من إيقاف لعجلة الحياة الفكرية في المدينة وأنهم بحاجة الى مدارس ذات صفة دينية بالدرجة الأولى يُجذّرون فيها المفاهيم الدينية التي كانت في الغالب غطاء لإحكام سيطرتهم على هذه الولاية وغيرها، ففي عام 1065هـ/1654م أمر الوالي عثمان باشا الساقزلي1059-1083هـ/1649-1672م ببناء مدرسة دينية بالمدينة سُميت باسمه، مخطط المدرسة مربع تقريباً، وهذا الشكل يشمل الوحدات المعمارية الخاصة بأداء الوظيفة العلمية والدينية المتمثلة في غرف الطلبة أو ما يسمى بالخلوات وكذلك المصلّى الذي تُؤدى فيه الصلاة في أوقاتها ويمكن أن يتحول الى غرفة للدراسة عند الحاجة[45] كما هو الحال في أواوين القبلة في المدارس ذات الشكل المتعامد في الشرق الإسلامي، وأقول هنا أن المخطط كان ليكون مربعاً لولا إلحاق الوحدات المعمارية الخاصة بالدفن والتي تشمل

غرفة خاصة بضريح المؤسس وبعض أفراد عائلته، وكذلك مدفن مكشوف دُفن فيه بعض الشخصيات المقربة من عثمان باشا وعائلته وحاشيته، هذا الملحق الذي شغل مساحة مستطيلة امتدت من مربع المدرسة على الواجهة الرئيسية المطلة على شارع درغوث وشغلت نصف الواجهة الشمالية الشرقية الحالية تقريباً(ش15)، وقد شُيدت المدرسة على أساس فكرة الفناء الداخلي أو الصحن الوسطي المربع والمكشوف المحاط بالأروقة التي تطل على الصحن بواسطة بائكة من العقود التي تحملها الأعمدة، وتفتح في تلك الأروقة أغلب أقسام المدرسة والمتمثلة في خلوات الطلبة وغرف الدرس وكذلك المُصلّى، وهذا المخطط شبيه الى حد كبير بمخططات المدارس المغاربية منذ ظهورها في القرن7هـ، هذا بالإضافة الى احتواء المبنى على مرافق أخرى مُلحقة كالمطبخ ودورات المياه والميضأة والبئر وغُرف لتخزين بعض الأدوات المتعلقة بالدراسة كالألواح الخشبية التي تُعتبر الوسيلة الأكثر شيوعاً في مدارس التعليم الديني بطرابلس والمغرب الإسلامي ككل، الى جانب احتواءها على ملاحق الدفن والتي تقع خارج نطاق الشكل المربع للمدرسة.

ومن المدارس المهمة أيضاً بمدينة طرابلس مدرسة جامع أحمد باشا القرمانلي والتي قام المذكور ببنائها لتكون أحد المنشآت التابعة لمسجده الشهير بالمدينة القديمة وذلك عام 1149هـ/1737م، وكذلك مدرسة جامع قورجي التي تُنسب إلى مؤسسها مصطفى قورجي والذي قام بتشييدها في عهد يوسف باشا القرمانلي في سنة1249–1250/ 1833–1834م، وهي ضمن جامع قورجي، والمدرستين في مخططهما العام تتطابقان إلى حد كبير مع مدرسة عثمان باشا سابقة الذكر من حيث احتواءهما على صحن وسطي تتوزع حوله جل المكونات المعمارية الوظيفية للمدرسة، إلّا أن الاختلاف الأبرز هنا يتمثل في أن مدرسة جامع أحمد باشا القرمانلي تتكون من طابقين وهو الشيء الذي لا نجده في المثالين الآخرين، هذا الأمر الذي يعد امتداداً للتأثيرات المغاربية على معمار المدارس في المدينة، فاستحداث الأدوار العليا في عمارة المدارس عُرف ابتداءً من القرن 8هـ/ 14م في المغرب الأقصى فيما يعرف بالمدارس البوعنانية بمدينة فاس، غير أن تأثيره على مدارس طرابلس كان منحصراً في هذا النموذج فقط، وربما كان ذلك يعود على استقدام أحمد باشا لمعماريين من المغرب الأقصى والاستعانة بهم في تشييد مُركّبه المعماري بما في ذلك المدرسة، هؤلاء

المعماريين الذين أرتأوا أن تكون المدرسة من طابقين لتأثرهم بما هو موجود من مدارس على نفس الطراز في المغرب الأقصى، وكذلك لتمييز هذه المنشأة عن غيرها من مدارس المدينة.

الأدوار التي تقوم بها المدارس في المدينة الإسلامية:

إن تصنيف المدارس تحت طائلة منشآت وظيفية ما هو إلا أمر نسبي يتفق عليه البعض ويختلف حياله البعض الآخر، فالمدرسة ومنذ دخولها الى عمارة المدينة الإسلامية تعددت وتنوعت الأدوار التي لعبتها في المجتمع، فهي في البداية – كما ذكرت سابقاً– كانت ذات طابع ديني تهدف الى نشر المذاهب السنية بغرض محاربة المد الشيعي الذي طغى على سياسة الدولة الإسلامية زمن الفاطميين، وفي مراحل أخرى كان الجانب العلمي هو الغالب على وظيفة المدرسة خصوصاً بعد أن تنوعت وتعددت العلوم التي تُدرّسها، وأنها لم تعد مقتصرة على تدريس العلوم الدينية فقط، وربما يتضح هذا الجانب أكثر في مدارس المغرب الإسلامي التي نشأت بعد القرن 9هـ/15م، والتي ساهمت جامعة القرويين في إنشائها كمدارس ملحقة لها ومتخصصة في تدريس بعض العلوم التي لا تُدرس في تلك الجامعة، ومن هنا فإنه عند دراسة تاريخ المدارس أو معمارها يمكن أن تُصنف حسب توجهات الدراسة فيها دينية كانت أم سياسية أو ثقافية، ولكن المؤكد أنها قد لعبت دوراً اجتماعياً مهماً في مختلف الفترات الإسلامية المتعاقبة، فعندما كانت هذه المنشأة تلعب دور ديني ثم دور سياسي وحتى عند قيامها بالدور العلمي البحت كان الدور الاجتماعي ملازماً لكل تلك الأغراض، فالهدف الأول من ظهور المدارس هو إصلاح المجتمع والرقي بأفراده الى مستويات أعلى، وكذلك احتواء من هم بحاجة الى الرعاية الاجتماعية من أجل صهرهم في المجتمع ككل، وحتى قبل ظهورها في عمارة المدينة الإسلامية وعندما كانت المدرسة فكرة تتبلور في عقول الساسة والمهتمين ظهرت للوجود في أواخر القرن 3هـ/9م وبداية القرن التالي دُور للتدريس أُلحقت بها أماكن لسكن الغرباء، وهذا ما عزّز فكرة الدور الاجتماعي لدور التدريس حتى قبل ظهورها.

وبعد ظهور المدارس وانتشارها بشكل متزايد في كل الأقاليم الإسلامية بدأ الطابع الاجتماعي يتضح شيئاً فشيئاً من خلال وظائفها المتعددة، ويبدو أن عدم اقتصار بناء المدارس على الساسة فقط وتنوع مُنشئيها بين قضاة وأغنياء وحتى النساء كان إشارة واضحة

الى دورٍ اجتماعيٍ ما تلعبه هذه المنشأة المهمة في خدمة المجتمع وأبناءه، الأمر الذي ترسخ من خلال تنوع العناصر المعمارية الملحقة بالمدارس نفسها، وكذلك الوظائف المتعددة التي تؤديها لخدمة أبناء المجتمع ، ويمكن حصر الجوانب الاجتماعية المهمة للمدارس في مُجمل النقاط الآتية :

أولاً: العمل على توفير السكن الملائم لعدد كبير من الطلبة الدارسين فيها، وكذلك توفير الخدمات التي تضمن لهم تلبية حاجياتهم الضرورية كالأكل والملبس والمنح الشهرية في أحيان كثيرة، الأمر الذي دفع كثير من الناس الى الحرص على إلحاق أبنائهم بتلك المدارس، وأيضاً توفير فرص عمل وأماكن إقامة وإعاشة الى جانب الرواتب الشهرية الثابتة لطبقة أخرى من المجتمع غير الطلبة والمتمثلة في المدرسين الذين كانت مهمتهم التفرغ الكامل لتعليم الطلبة [46].

ثانياً: على غرار المساجد كانت جُل المدارس تُقام في جنباتها حلقات الوعظ والإرشاد والتي كان لها –الى جانب الهدف الديني– هدف اجتماعي تمثل في تنقية المجتمع من الشوائب والسير به الى حياة مُثلى خالية من الأمراض الاجتماعية .

ثالثاً: في أحيان كثيرة كانت من أكثر الطبقات الاجتماعية التي تسعى المدارس لاحتضانها هي طبقة الفقراء، وذلك بهدف تعليمهم ودمجهم في الخدمة العامة، والغرض هو امتصاص التناقضات الاجتماعية الموجودة في كثير من المجتمعات والعمل على تقريب طبقات المجتمع من بعضها البعض .

رابعاً: ولتأكيد الفكرة السابقة _ المتمثلة في سعي المدارس لجذب أكبر عدد من الطبقات الدنيا – أُلحق ببعض المدارس في العصر المملوكي مكاتب تسعى لاحتضان وتعليم الأيتام سميت بمكاتب الأيتام، وذلك من أجل احتواء هذه الشريحة اجتماعياً وإبعادهم عن الانحراف الذي قد يكون اليتيم أقرب إليه من غيره، ومهمة تلك المكاتب تعليم الأيتام منذ الصغر وتهيئتهم للالتحاق بالمدارس فيما بعد وبالتالي إشراكهم في الخدمة الاجتماعية، وحرصت تلك المكاتب على تعيين مؤدب يقوم على تربية هؤلاء اليتامى وتعليمهم بما يتماشى مع مستوياتهم العقلية والعمرية [47].

خامساً: ايضاً نجد في عمارة المدارس القاهرية وخصوصاً في العصر المملوكي أن بُناة المدارس حرصوا على إلحاق عناصر معمارية كان الغرض منها بالدرجة الأولى الخدمة الاجتماعية وتقديم التسهيلات الممكنة للمواطن، ولعل أبرز تلك الملحقات هي الأسبلة التي عُدت من العناصر الملازمة لبناء المدارس آنذاك(48).

وأخيراً لقد أثبتت المدارس بعد انتشارها في المجتمعات الإسلامية نجاحها الباهر في تأدية أدوار وظيفية مختلفة، فكما يمكن تصنيفها كمنشأة علمية أو دينية أو سياسية فإنها تستحق وبامتياز أن تُصنف من ضمن منشآت الرعاية الاجتماعية لما تقوم به من دور باهر في هذا المجال، وفي هذا السياق يقول المهندس غاسبري ميسانا والذي قضى أكثر من عشرين سنة في دراسة الآثار الإسلامية بليبيا في النصف الثاني من القرن العشرين : " أود ملاحظة أن كثير من المؤلفين يعتبرون المدارس ضمن المباني الدينية، إلا أننا آثرنا تصنيفها في عِداد المباني المدنية لأنها صاحبة الفضل في تكوين أجيال لا حصر لها " (49).

نتائج الدراسة:

خلصت الدراسة الى ما يلي :

1- المدرسة كمنشأة معمارية خدمية ظهرت في عمارة المدينة الإسلامية في وقت متأخر قليلاً، وذلك لأن العمارة الإسلامية كانت قائمة بالأساس على الوظيفية في انشاء المباني.

2- المدرسة كانت المرحلة الأخيرة من مراحل السعي لإيجاد الحيز المكاني الأنسب لتدريس علوم الدين، فإيجاد مكان فعلي للدراسة مرّ بعدة مراحل وُجدت خلالها العديد من المنشآت التي قامت بهذا الدور المهم تحت عدة تسميات، حيث عُرفت عند المسلمين قبل هذه الفترة بدار الحكمة أو بيت الحكمة، وأيضاً دار العلم والمكتبات، وكانت اغلبها ملحقة بالمساجد.

3- في نيسابور بإيران كان السلاجقة هم أول من أدخل الى الهندسة المعمارية الإسلامية نوعاً جديداً من الأبنية كانت مهمتها الوحيدة في بدايتها نشر تعاليم الدين الإسلامي حسب المذهب الشافعي وهو المذهب الشائع هناك، وعرفت منذ ذاك الوقت باسم المدارس.

4- هناك تبادل انتقالي في العناصر المعمارية الوظيفية بين الجامع والمدرسة، فالمئذنة والمنبر ودكة المبلّغ وخُلوة الخطيب وكرسي المصحف كلها عناصر انتقلت من المسجد الى المدرسة، والقباب والمدافن والأسبلة وخِزانات الكتب وكذلك الخلاوي والأروقة انتقلت عكسياً من المدرسة الى الجامع، وهذا ما يبرهن على العلاقة المتينة بين المنشأتين معمارياً ووظيفياً في المدينة الإسلامية.

5- العامل المذهبي ساهم في تشكيل المدارس معمارياً، وهذا ما يفسر اختلاف التخطيط في المدارس بين شرق العالم الإسلامي حيث التعددية المذهبية وغربه حيث سادت أًحادية المذهب في الغالب.

6- عمارة المدارس في المدن الإسلامية بالمغرب الإسلامي غالباً ما خضعت لفكر معماري واحد انعكس على مخططاتها، فكانت كبيرة الشبه ببعضها في جل أقاليم المنطقة رغم اختلاف العصور، فمراكش والجزائر وتونس وطرابلس أعطت أكمل نماذجها المعمارية من هذا النوع وفق رؤى معمارية متقاربة.

7- إن تعدد الأدوار الوظيفية للمدرسة أكسبها أهمية كبرى في عمارة المدن الإسلامية، فإلى جانب دورها التعليمي كان لها دور ديني وآخر سياسي ورابع اجتماعي، لذا أمكن تصنيف المدارس منشأةً شاملة متعددة الأدوار.

الأشكال

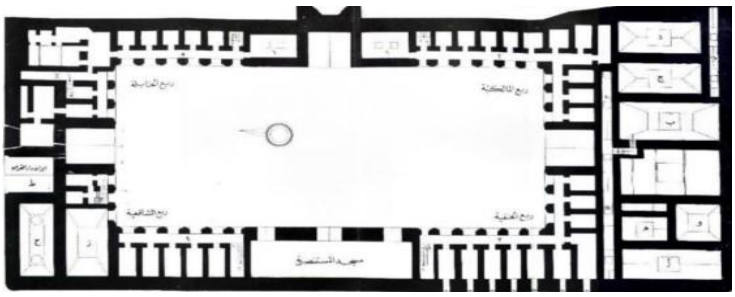

شكل رقم 1
مسقط أفقي للمدرسة المستنصرية (بغداد)

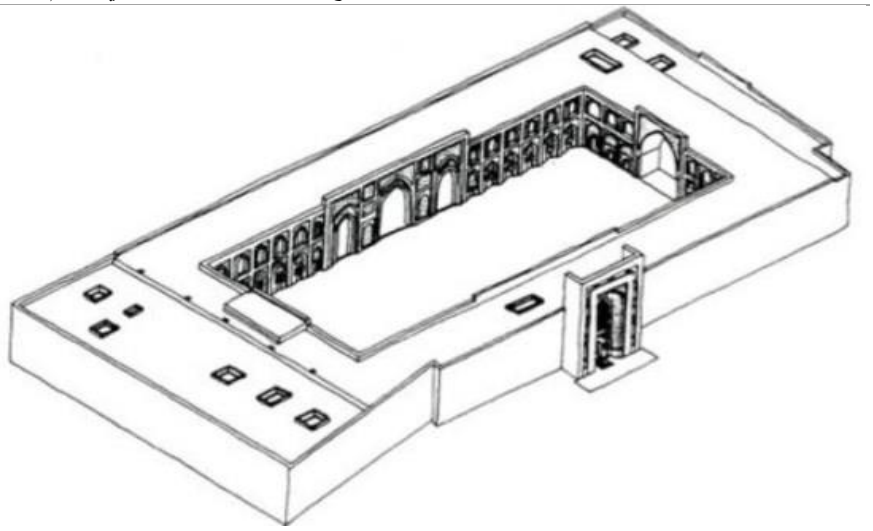

شكل رقم 2
مجسم للمدرسة المستنصرية (بغداد)

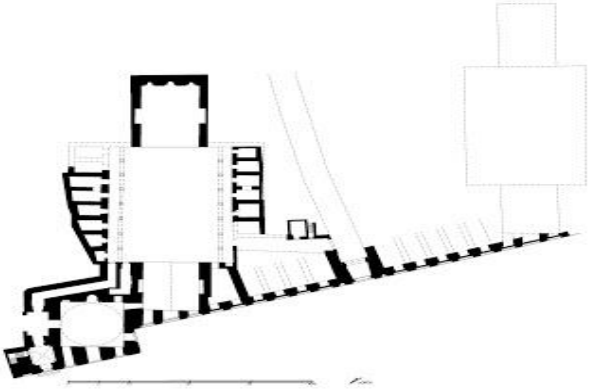

شكل رقم 3
مسقط أفقي للمدرسة الصالحية (القاهرة)

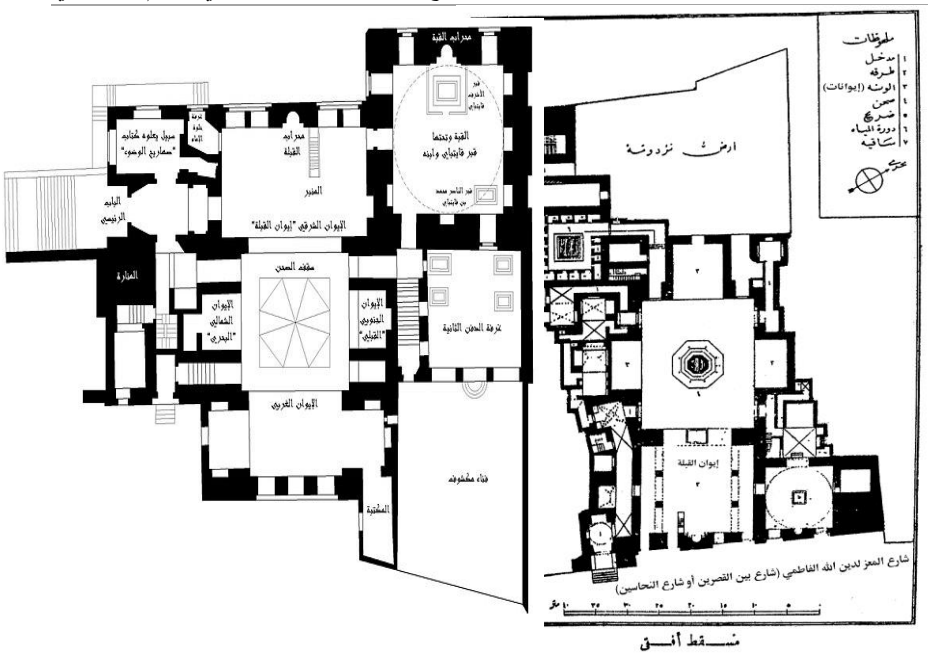

شكل رقم 4
مسقط أفقي لمدرسة الظاهر برقوق(القاهرة)

شكل رقم 5
مسقط أفقي لمدرسة قايتباي (القاهرة)

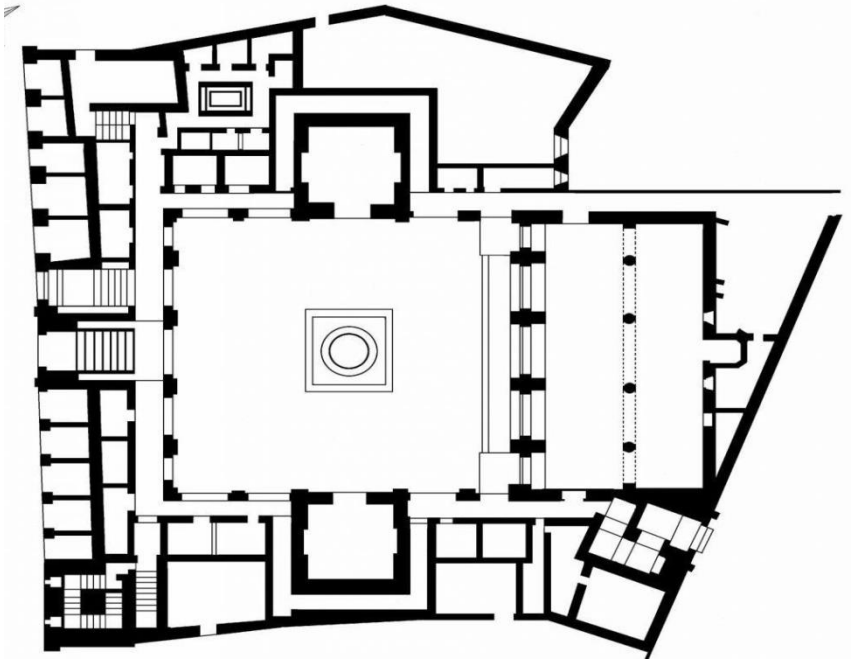

شكل رقم 6
مسقط أفقي للمدرسة البوعنانية بفاس (المغرب)

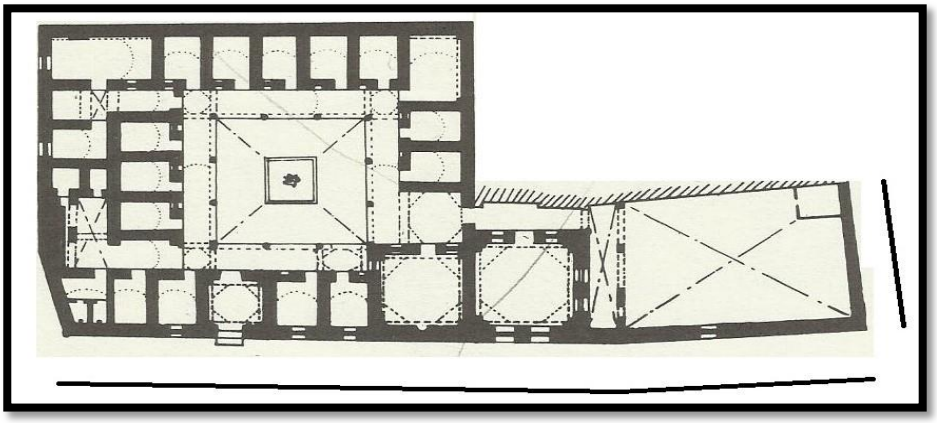

شكل رقم 7
مسقط أفقي لمدرسة عثمان باشا الساقزلي (طرابلس)

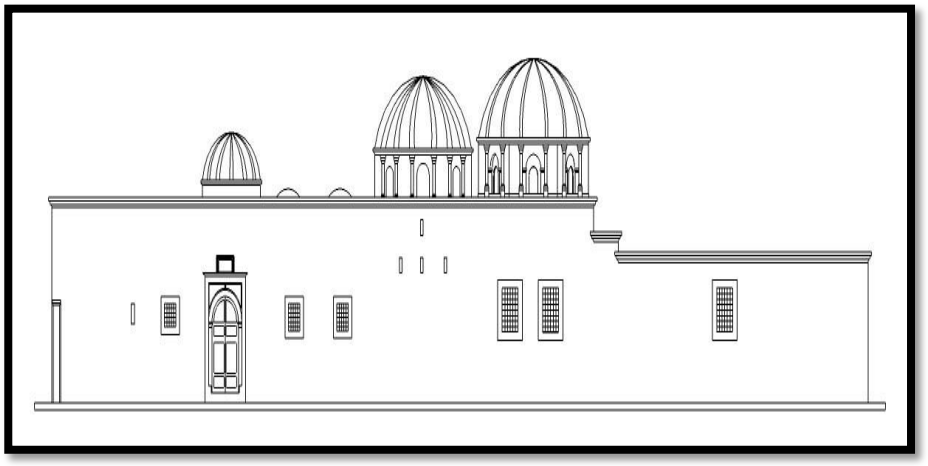

شكل رقم 8
مقطع رأسي للواجهة الرئيسية من مدرسة عثمان باشا الساقزلي (طرابلس)

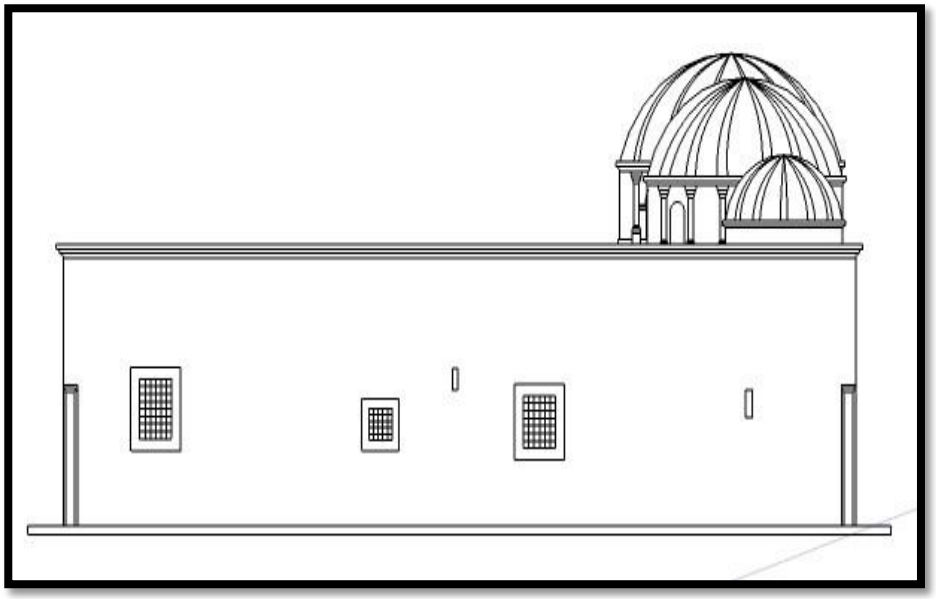

شكل رقم 9
مقطع رأسي للواجهة الجانبية من مدرسة عثمان باشا الساقزلي (طرابلس)

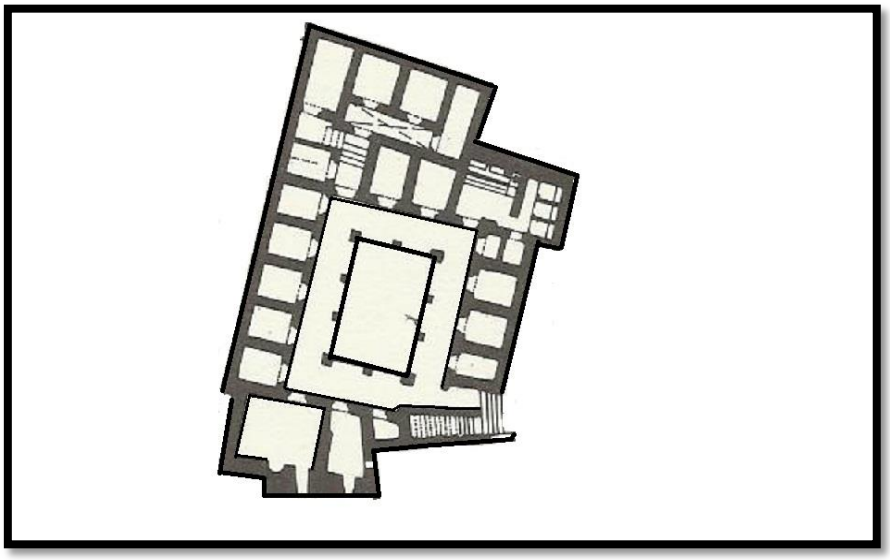

شكل رقم 10
مسقط أفقي لمدرسة جامع أحمد باشا القرمانلي (طرابلس)

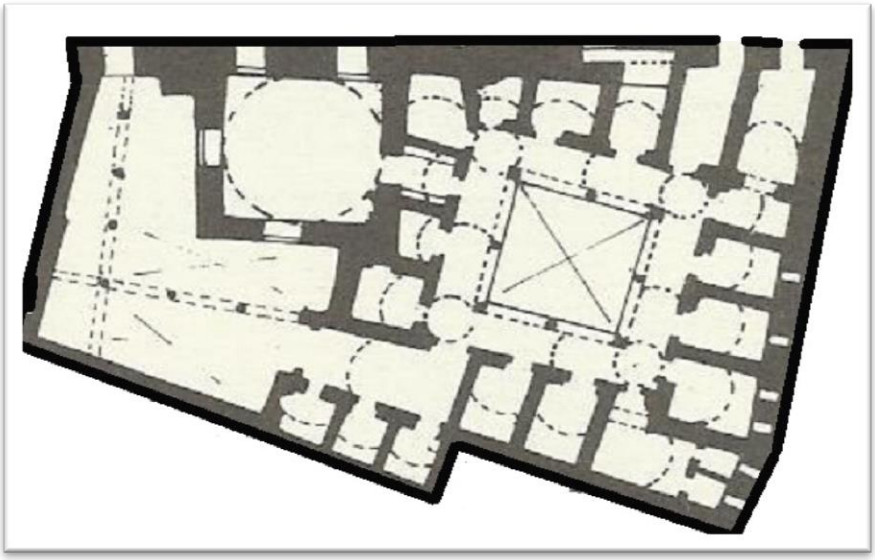

شكل رقم 11
مسقط أفقي لمدرسة جامع قورجي (طرابلس)

هوامش البحث:

(1) عاصم رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000م، ص271.

(2) سعد زغلول عبدالحميد، العمارة والفنون في دولة الإسلام، منشأة المعارف، الإسكندرية،1988م،ص470

(3) محمد عبد الستار عثمان، نظرية الوظيفية بالعمائر المملوكية الباقية في القاهرة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2000م،ص47.

(4)السلاجقة هم قوم جاءوا من إقليم القوقاز في آسيا الصغرى و استقروا في إيران . كمال عناني، مقدمة في الآثار الإسلامية، دار المعرفة، الإسكندرية،2008م، ص144.

(5) آرنست كونل، الفن الإسلامي، ترجمة أحمد موسى، دار صادر،1966، بيروت، ص63

(6)محمد عبد الستار عثمان، نظرية الوظيفية بالعمائر المملوكية الباقية في القاهرة، مرجع سابق، ص59.

(7)المقريزي، تقي الدين أحمد (توفي عام845هـ/1441م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار،ج2، تحقيق محمد زينهم، مكتبة مدبولى، القاهرة، 1998م، ص 393.

(8) محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، مجلس الثقافة، الكويت، 1988م ، ص242.

(9) آرنست كونل ،مرجع سابق،ص123.

(10) السيد عبدالعزيز سالم، مدارس فاس، بحث منشور في كتاب الشعب، العدد 78،بيوت الله مساجد ومعاهد،ج2 ،فاس،1960م،ص199.

(11) سعيد علي حامد، سعيد علي حامد، مدارس مدينة طرابلس منذ الفتح العربي حتى عام 1911م، مجلة تراث الشعب، ربيع الأول 1349هـ/ نوفمبر 1984م، العدد14، السنة الخامسة، ص ص50-66.

(12) سوسن سليمان يحيى، ،جامعة القرويين ملتقى مدارس العمارة بالمغرب الإسلامي، مجلة كلية الآثار، العدد الثامن، جامعة القاهرة-كلية الآثار، 1997م، ص75-144.

(13) عاصم محمد رزق، مرجع سابق، ص271.

(14) محمد حمزة الحدّاد، بحوث ودراسات في العمارة الإسلامية، بحوث ودراسات في العمارة الإسلامية، دار نهضة الشرق، القاهرة، 2000م، ص ص 209-213.

(15) علي محمود المليجي، مرجع سابق، ص50-51.

(16) محمد عبدالستّار عثمان، مسميات المنشآت الدينية المملوكية وعلاقتها بالتخطيط والوظيفة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، 2008م، ص63-65.

(17) توفيق عبدالجواد، تاريخ العمارة والفنون الإسلامية، 1970م، ص132.

(18) كمال عناني اسماعيل، مرجع سابق، ص146.

(19) خالد عزب، تراث العمارة الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، 2002م، ص146.

(20) كمال عناني اسماعيل، مرجع سابق، ص146.

(21) أحمد فكري، مدخل الى مساجد القاهرة ومدارسها، ج1، دار المعارف، القاهرة، 1965م، ص50. ايضاً: محمد عبدالستّار عثمان، نظرية الوظيفية، مرجع سابق، ص66 .

(22) أنور الرفاعي، تاريخ الفن عند العرب والمسلمين، دار الفكر، دمشق، 1973م، ص82.

(23) اعتباراً من العصر الأيوبي عرفت المدارس إلحاق ضريح المؤسس بعمارتها، وكان السلطان نور الدين أول من قام بذلك عندما ألحق ضريحه بالمدرسة النورية بدمشق، واستمرت هذه العادة بعد ذلك في جل المدارس الأيوبية وحتى المملوكية بعد ذلك. محمد عبدالستار، نظرية الوظيفية، مرجع سابق، ص68-69 .

(24) كمال عناني إسماعيل، مرجع سابق، ص144.

(25) محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، مرجع سابق، ص242.

(26) سعد زغلول عبدالحميد، مرجع سابق، ص470.

(27) محمد حمزة الحدّاد، مرجع سابق، ص207-208.

(28) كمال عناني إسماعيل، مرجع سابق، ص146.

(29) سعد زغلول عبدالحميد، مرجع سابق، ص475-476.

(30) كمال عناني إسماعيل، مرجع سابق، ص147.

(31) عاصم محمد رزق، مرجع سابق، ص116.

(32) آرنست كونل، مرجع سابق، ص124.

(33) آرنست كونل، مرجع سابق، ص124. ايضاً : سعد زغلول عبد الحميد، مرجع سابق، ص 516

(34) كمال عناني إسماعيل، مرجع سابق، ص147.أيضا : آرنست كونل، مرجع سابق، ص124.

(35) سعد زغلول عبدالحميد، مرجع سابق، ص519.

(36) جامعة القرويين: أول جامعة في التاريخ، أُنشأت عام245هـ/859م، ولازالت تؤدي وظيفتها الى يومنا هذا .أنظر: حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ط13، ج4، دار الجيل، بيروت،1991م ، ص400-401

(37) سوسن سليمان يحيى، مرجع سابق، ص75-144.

(38) سعيد علي حامد، مرجع سابق ص50-66.

(39) التيجاني، أبو العباس أحمد، (توفي عام 1231هـ/1815م)، رحلة التيجاني، قدّم لها الدكتور حسن حسني عبدالوهاب،ج2 ،الدار العربية للكتاب، تونس-ليبيا، 1981م، ص251-252.

(40) ابن رشيد السبتي، مصدر سابق، ص6.

(41) العبدري، أبو عبدالله محمد، (توفي أواخر القرن7هـ/13م)، رحلة العبدري (الرحلة المغربية)، تحقيق محمد الفاسي، جامعة محمد الخامس، الدار البيضاء، 1969م، ص77.

(42) التيجاني، مصدر سابق، ص252.

(43) M.Warfelli, The old city of Tripoli (art and archaeology research), Tripoli,1976, p45

(44) علي الميلودي عمّورة، طرابلس المدينة العربية ومعمارها الإسلامي، دار الفرجاني، طرابلس، 1993م ، ص111.

(45) غاسبري ميسانا، المعمار الإسلامي في ليبيا، ت علي الصادق حسنين، ط1،دار الجيل، طرابلس، 1998م، ص194 . أيضاً : سعيد علي حامد، مرجع سابق، ص ص50-66 .

(46) محمد عبدالستار عثمان، نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، القاهرة، 2000م،ص136-137.أيضاً :محمد سيف النصر أبو الفتوح، منشآت الرعاية الاجتماعية بالقاهرة حتى نهاية عصر المماليك، رسالة دكتوراه مقدمة الى قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة، ص389.

(47) محمد عبدالستار عثمان، نظرية الوظيفية، مرجع سابق ، ص144-145.

(48) نفس المرجع السابق ، ص 151.

(49) غاسبري ميسانا، مرجع سابق، ص 99.